قصة شلي الغرامية

حقائقها غريبة من مستحدثات الخيال

تلخيص وتعليق : فالح مسرع الرحيمي

— ٣ —

حتى هذا ما كنا في الفصل الثالث من هذه الأساة المضحكة رأينا هؤلاء الثلاثة يسافرون على الاقدام من باريس ومعهم حمار هزيل كان قد اشتراه شلي ليحمل متاعهم . وعجز الحمار عن أن يقوم بمهمته لضعفه وسقط حائراً في الطريق واضطرت الفتاتان على أن تحملاه حتى أقرب قرية ، وهناك باعوه واشتروا بغلة بدلاً منه

وضربوا في مقاطعة خربتها الحرب حديثاً ومن ثم لم يجدوا مأوى موافقاً يفزعون إليه ويستريحون من وعثاء هذا السفر الطويل . لقد كانت الخانات مرتة البناء ، وفي حالة سيئة من القذارة . وكانت جيوش الجرذان المتوحشة تزحف في الليل على غرف هذه الخانات مما جعل الثلاثة يقضون ساعات الظلام الطويلة في ركن من فناء مطبخ الخان

ولم ينس شلي « هاريت » على الرغم من هذه المشاكل الشاغلة التي كان يجب أن تصرف ذهنه عن كل شيء آخر عداها . لقد أخذ يفكر في حالها وأخذ يؤنبه ضميره على ما جرّه عليها من أذى وتعب . ومن المستغرب أنه أرسل اليها كتاباً طويلاً يدعوها فيه الى الانضمام اليهم والاشتراك معهم في كل ما ينالون من سعادة ويتحصلون من متاع وسرور . ونحن نقتبس هنا بعض ما جاء في هذا الكتاب الطويل : —

« هل لك أن تحضري الى سويسرا لتشتركي معنا في هذه الرحلات الجميلة ؟ إنك لن »
« تندمي على الأقل صديقاً وفيًّا يتعاطف على آمالك وأحلامك ويجلها أن تصاب بضر أو أذى »

وقرأت هاريت الكتاب ولكنها طرحته جانباً ولم تجب عليه

ووصل الجميع إلى سويسرا أخيراً ونزلوا في غرفتين من قلعة عتيقة متهدمة لم تعصمهم من

الشر ... خوف ... ولما استقبل ... في هذا الجو ... يدعى غابة ودن ... عليها أخذ يفكر
في ... نيفه ، وأخيراً عين ... — واجمع الآ ... ت ان يرحلوا ... ا ... الجلترا !
و ... ارتوا إلى بورداه ... رة وجيز صغير ... قضوا عن السير ... ن شلي أغرى
فيتا ... نيفه بأن تعلمهم ... رطبيرغ عند وصل ... عاء كبير إلى ... حبت استأجروا
مركبة ... ن العائلة كلها إلى ... ولكن شلي لم يكن ... قود يدفعها الى ... شلي وأخيراً —
وبعد السفر — تمكنوا من ... عاد من صفه أصدقا ... د الوصل في استقبا ... زوجته فلما أتت
اختفت الثلاثة وراء الباب واستقبل الزوج وحده هاريت . واقترض منها قليلا من الجنيهات .
كانت هاريت — ما تزال — تحب شلي ، ولم يؤيسها ... جهم في عودة زوجها اليها يوماً ما . إذ
أنها كانت تعتقد ان سبب هاري عن هو الا عاطفة هوجاء سوف تفتر وتلاشى . فتب انسام اليه
منها شيئاً فشيئاً ثم يعود بعد ذلك تائباً ملوماً إلى داره . ولكن كان هذا الامل بعيداً عن
الحقيقة — لقد كان حلماً خادعاً . ورزقت « هاريت » ولداً ثانياً في آخر العام ولكن لم يؤثر
مجيء الولد في شلي ولم يرجع الزوج الشارد الى احضان زوجته . لقد كان شلي يحب ماري
ويعبدها وكان يجد في جانبها سعادة لا تعدلها سعادة على الرغم مما يكتنفهما من شدة وعسر ، ومما
يجب ذكره هنا ان « جين » — أخت ماري — استبدلت اسمها « بكلير » واستصحبت الزوجين
ولزمتهما تواماً وبدأت تحس في قلبها عاطفة نحو الشاعر الخيالي الجميل الذي تتم به أختها من دونها

وساءت حال شلي بعد قليل من هذا الوقت واضطر ... المحضرون الذين كانوا يلاحقونه
ويزعجون اثره إلى الاختفاء عن أعينهم والى التنقل مع ماري في السر فقط دون العلانية ،
وكانا يتبادلان أثناء ذلك رسائل مليئة بسجلها الأدب والتاريخ بالفخار والاعجاب

وبينما كان شلي يعاني آلام الفاقة وبينما كانت جميع اسباب الرزق ومنافذه تتجهم في وجهه
إذ أتاه نعي جده سير بيسي فغطت في حياته فارقة أمل اضاءت ما اكتأب وأظلم منها . واصبح
شلي الوارث الوحيد للبارونية . ولقد خلف سير بيسي وراءه ثروة طائلة ونال شلي منها الف
جنيه في العام وعلى هذا رأى ان يرفع المبلغ الذي يدفعه الى « هاريت » كل شهر ومد يد المعونة
الى حميه الذي كان غارقاً في الديون

ورزقت « ماري » ولداً ولكنه لم يلبث ان مضى بغير ثنية بعد شهر من ولادته فحزنت
« ماري » حزناً شديداً وأصبحت تبغض اختها « كلير » ولا تطيق الاقامة معها في المنزل اكثر
من ذلك . لقد بدأت الغيرة تهش قلبها وتولد فيها الضغينة نحو اختها التي كانت تمتاز عنها بجاذبية
وحشية ساحرة مما جعل « ماري » تخشى ان يقع في أسرها شلي يوماً ما على الرغم من صدق
ولائه لها . ومما ضايقها اكثر وأثار ثائرتها قيام الشاعر وكلير شطراً كبيراً من الليل معاً — ان

لم يكن اقبل كله — يشاكر ان في العلوم العالية . واخيراً نجحت « ماري » في التخلص من كير وتلك

ولما وجدت هذه الفتاة الجياشة العاطفة — كير — انها لم تتمكن من كسب شلي عزمت ان تبحث عن حب في مكان آخر . . حب شاعري يضرع حب شلي . واتاحت لها الاقدار أخيراً اللورد بيرون الشاعر الارستقراطي الانيق

ولا يهمنا هنا ان نتعرض للعلاقة الطويلة بين بيرون وكلير و ما كل ما يهمنا ان نقوله هو انه لما ضاقت الخناق بشلي وماري فكرا في ان يبرحا الى سويسرا لنجدا عيشة ارخص فيها ونبتعد شلي عن الجو الذي يشيع فيه المقت له ولماري . وصحبتهما كير في هذه الرحلة . وبعد قليل وقع التعارف بين الثالوث وبين بيرون . وأحب بيرون كير حباً عنيفاً ولكنه لم يلبث ان سئم منها ولم تلبث ثمرة هذه العلاقة — أليجرا — ان قضت نحبها دون السادسة من عمرها

— ٤ —

وبينما كان شلي في سويسرا كان سوء الطالع يرتسم اثره وكانت الاقدار تحيط في اختفاء نسيجاً اسود في افق حياته . لقد ظلت « فني جودوين » المسكينة تعاني لم الوحشة وتمنت امها وبدأت تحسد اختيها — ماري وكلير — ان اصبحتا طليقتين من قيود المنزل واوضاعه الثقيلة وكتبت « فني » الى شلي خطاباً لم تخف فيه حسدها وتوقها للحياة التي يحيونها جميعاً في ذلك الجو الخيالي الطليق

مسكينة « فني » !! لقد كانت تحب شلي ايضاً ! ! وكانت حياة الوحدة التي تحياها ، والشقاء الذي يثقل كاهلها من جراء قسوة امها ، كان كل ذلك سبباً لاثارة اعصابها واشتعال هذا الحب وعلى اثر ذلك عزم شلي ان يرجع الى انكلترا ورحل الجميع — شلي ، وماري ، وكلير — الى « باث » حيث اعزموا ان يعيشوا . وقد قابلوا « فني » في لندن وقضت معهم وقتاً سعيداً . ولما آن رحيلها جزعت وهي تصافح الشاعر جزعاً شديداً وقد سالت دموعها وهو يقبلها !

وتلقى شلي منها خطاباً غريباً كتبته من برستول . لقد كانت تودعهم وداعاً يقطر حزناً . . وتقول : —

« اني ذاهبة الى مكان ارجو ألاّ اعود منه ثانية !»

ووقع الخطاب من نفس الشاعر وماري موقعاً اليماً فأسرع بالذهاب الى برستول ليلحق « بفني » قبل ان تودي بنفسها . ولكنه وجد انها قد تركت برستول الى سوانسي . وفي اليوم الثاني وجدت ميتة وبجانبها زجاجة ممتلئة باللودانوم « صبغة الافيون » تاركة خطاباً موثراً تصف فيه سبب انتحارها

واعتقدت مسز جودوين ان شلي هو السبب في هذه المأساة التي قوضت ما بقي من كيان

العائلة . لقد انتحرت الفتاة لانها كانت تحب اخت الشخص الذي اغرى اختها من قبل

وبرغبته في نسيان أمره كثيراً وجد ان السبيل الى اليأس من الحياة . ولكن خطر له ان القاه مع احد صديقيه « اي هنت » الى مدينة بهامستد وقضى زمناً كاد ينسيه شبح الماضي الكئيب . ولكن لاتعد ما فتئت تهاجمه حتى ان دهمته ضربة زلزلت كيانه لقد اختفت هاريت ! واستغرب علي لصديقه شكوكه على اختفاء أثر هاريت . ولما ترك علي هامستد وجد رسالة من هكوام تنتظره وقد فضها وجد فيها ما يأتي : —

« سيدي العزيز »

« لقد مضى شهر على التشرف بتلقي خطابك الكريم واظنك قد دهشت — ولا شك — »

« من عدم الاسراع في الرد عليه . لقد فعلت ذلك عن عمد . فانني قد وجدت انهُ من الضرورة »

« ان اخبرك بما تريد من سمز علي وعن اولاده »

« بينما كنت اسمي ياسيدي لمعرفة عنوان مسز علي ، اذ جاءني نبأ انها توفيت . لقد انتحرت . . »

« وانت تعتقد بانني لم اصدق الخبر في حينه واسرعت بمنزل صديق للمتوفى ستروسترووك ليتحقق الخبر »

« وانا افرح بأملي الى الشك والكذب . ولكن لشديد اسفي اخبرت انها انتشلت من »

« السربنتين يوم الثلاثاء الماضي . وقد اعتبر القضاء والطبيب الشرعي ان الوفاة كان سببها الغرق »

« اما ولداك فكلاهما في صحة جيدة وهما — على ما اعتقد — في لندن » .

وفي صباح اليوم التالي ظهرت هذه العبارة في جريدة التيمس :

« وجدت في يوم الثلاثاء الماضي جثة سيدة كريمة متقدمة في اشهر الحمل غريقة في السربنتين »

« وحملت الى منزلها في شارع الملكة بمريتن وكانت قد تنيت عنهُ ستة اسابيع . لقد كانت تلبس »

« في اصبعها خاتماً ثميناً ، ويظنون ان هذه السيدة قد انتحرت بشرفها وحملها هذا على وضع »

« حد لعذابها والتفكير في هذه النهاية المحزنة بينما كان زوجها متغيباً في الخارج »

وكان وقع المصاب على علي شديداً ولكنهُ اخذ يقنع نفسهُ بانهُ لم يكن مسئولاً عن ذلك وانهُ سلك مسلكاً كريماً لا خطأ فيه ، اي انهُ لم يسيء إليها وانما كان براً بها رحيماً

وبعد اخراج جثة هاريت بأسبوع عقد علي زواجه على ماري جودوين في كنيسة سانت ملدرد . وفرحت عائلة جودوين لنجاح ماري وفوزها أن اصبحت زوجة علي وبارونة صكس في النهاية . وقد غير هذا من موقفهم الماضي . ومما يذكر ان جودوين وزوجته حضرا عقد زواج العروسين في الكنيسة . وكتب والدها إلى أحد أصدقائه يحدثه عن الزواج ويقول : —

« إن زوجها هو أكبر ابناء سير تيموثي علي بارون مقاطعة صكس ، وأنت ترى أنهُ »

« وعلى الرغم من اشاعات العالم وأقاويله فقد تزوجت ابنتي زواجاً سعيداً . وأنا عظيم الايمان بأن »

« زوجها سيحس معاملتها . وسلك تعجب كيف أن وكلاء كثيرين لا ينكدون عليك ثروة . كان ط »
« هذا الخليط الوافر من السعادة والثروة . وبكل هذه الشواهد على حياة هنيئة ، هي ذا يبدي تعجبه وتصعيده . »
« وكل ما أرجوه لك هو أن تحيا حياة مديدة ، فاضلة ، راضية »

ورجح شلي أن تشرف ماري على تربية أولاده من زوجته الأولى وليكن حاشا لحكمة شاعري بغير ذلك . فقد قررت الحكمة عند حلاجيه كل من شلي وعائلة وستروت بوصاية على الاولاد . واختارت لتربية هؤلاء الاولاد طبيباً من أطباء الجيش هو وزوجته وقد ادت الحكمة لشلي أن يزور اولاده مرة في كل شهر بشرط أن يكون هذا في حضرة أحد الحكمين

اثرت كل هذه الضربات في شلي تأثيراً كبيراً وبدأ ظهره ينحني تحت عبئها المرهق الثقيل وكثيراً ما حرمه التفكير النوم . لقد اصبح يائساً من كل شيء وضاق في وجهه كل منفذ . ومن الكتاب الذين اجادوا وصف حالته آنئذ الكاتب الناقد الفرنسي أندريه موروى إذ يقول : —

« لقد اخذت الصروح الهوائية والقصور البلورية الشفافة التي كانت تحجب تحت أطباق عصابها »
« واقية الحياة عنه عهداً طويلاً — اقول اخذت هذه الصروح والقصور الخيالية تتحلل رويداً »
« رويداً وتفقد صلتها بالارض سابحة نحو الفضاء كأن هناك قوة غير مرئية تجذبها اليها . انها لم »
« تُلاشَ وإنما سرت في موكبها الساحر الخفاف ترق صوب عوالم عليّة من الشعر الخالص »
« التي . وبدأ شلي ينظر من المكان الذي احتله هذا الاطياف إلى الدنيا نظرة حقيقية مجردة »
« عن كل خيال . بدأ يرى الحياة بما كيها البسيطة ، ووجوه الرجال الكالحة العابسة ، والنساء »
« القاطنات الصبيات ، والمجتمع الإنساني الفاسي الذي ودّ من قلبه لو فر منه إلى الأبد »

واشترى بيتاً في جريت مارلو وعاش فيه مع ماري وطفليهما وأليجرا بنت كلير من اللورد بيرون وكانت على درجة كبيرة من الجمال . وكان شلي يمضي وقته على شطآن النهر في هذا المصطاف الجميل ، وكان يغذي خياله من جمال وادي التيمس الرائع الفخم وقد زاره في هذا المصطاف كثير من معارفه وسجراته امثال حميه جودوين وصديقه لي هنت وزوجته وأولاده

واصبحت حياته في انكلترا لا تطاق بعد ان كثرت الاشاعات عن وجود كلير مع شلي مما جعل الالسنة تهتك شرفها . لقد زعم الناس ان أليجرا لم تكن الا ابنة شلي وليست ابنة بيرون ولهذا اعتزم شلي وماري أن يفرّا إلى ايطاليا

— ٥ —

ولا يتسع المجال هنا لأن نسهب في وصف حياة شلي وموته في ايطاليا أو علاقاته فيها بالشاعر اللورد بيرون . وإنما سنجمل ذلك اجمالاً

لقد سبق شلي زوجته إلى ايطاليا وصحب حضورها مأساة هدت كيانها إذ ان طفلتها كلارا توفيت في البندقية . وكانت تصحبها أثناء ذلك كثير التي قرصت نفسها عليها فرضاً . ورحلوا من البندقية إلى روما وناپلي ولم تلبث ان دهمتها كارثة أخرى إذ ان ابنها الصغير وليم مرض بالدوسنطاريا ومات بعد قليل

خطمت هذه الضربة الثانية قلب مري وسحقته سحقاً وقد أثر ذلك في قلب الشاعر الرقيق الضعيف وأخذ يشكو ذلك في شعره : —

(أين ذهبت يا عزيزتي ماري وخلتني وحيداً في هذا العالم الموحش المخيف ؟ إنك مازلت) (قائمة هنا . . وهذا طيفك المحبوب ما يزال بين ناظري ؛ ولكنك أنت قد فررت بعيداً) (وركبت الطريق الموحش الذي يهبط بالمرء إلى مراتع الأجزان الكئيب المظلم)

ووزنت ماري ولداً في فلورنسا فهدأ روعها قليلاً وبدأت تفيق من غيبوبة أحزانها . ولم تطل وحدتها في ايطاليا إذ زارها صديقان من اعز اصدقائها وهما إدوارد وليمس وزوجته الفاتنة الجميلة « جين » . وأحس شلي انهُ قد احب « جين » ولكنها كانت امرأة ذكية حساسة حرصت على ان تكون علاقتها بالشاعر علاقة عذرية بريئة حتى لا تكدر صفو الجو الخيالي السعيد الذي يعيش فيه الاصدقاء الأربعة

وفي خلال ذلك رأى شلي فتاة ايطالية فتنه بجمالها وكانت تدعى اميليا حبسها ابوها في الدير وكان رجلاً غليظ القلب عربيداً . ونظم شلي قصيدة كبيرة في هذه الفتاة واطلق عليها عنواناً غريباً حار النقاد في فهمه وهو Epipsychidion وقد اثارت هذه الفتاة غريزة الشاعر الانسانية وأخذ قلبه الرحيم يحنو على هذا الروح البتيم — كما كان يدعوها في قصيدته ويوقف عليه في هيكل قلبه هذه الاكاليل المقدسة الباقية من الذكرى الذابلة . واحب شلي اميليا والح على زوجته ماري في ان تذهب اليها في الدير . وظلت ماري وقتاً طويلاً وهي قلقة من هذه العلاقة الجديدة ولكن افرخ روعها عند ما تزوجت أميليا من رجل يدعى بيوندي

وبعد ذلك بقليل اكتنفت حياة الشاعر مشكلات جديدة اخذت تغص عليه حياته . واخذ يتنقل بين پيزا وكازا ماجني وقد قضى فيهما مدة طويلة

وفي آخر صيف ذلك العام ركب شلي مع صديقه وليمس قارباً في البحر وهبت زوبعة شديدة اجتاحت القارب الصغير فابتلعته الأمواج الثائرة . وكانت هذه خاتمة الشاعر

ولما أخرجت جثته احرقت على الشاطىء في حضور جمع من خلصائه . وكانت هذه وصية الشاعر وأمنيته